

الآية (٣٩) (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

لَمَّا جَرَى ذِكْرُ أَعْمَالِ الْمُتَّقِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَجَرَائِهِمْ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ إِلَى قَوْلِهِ: لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ...) [النور: ٣٦ - ٣٨] أَعْقَبَ ذَلِكَ بِضِدِّهِ مِنْ حَالِ أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ الَّتِي يَحْسُبُونَهَا قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا هِيَ بِمُعْنِيَةٍ عَنْهُمْ شَيْئًا عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي إِزْدَافِ الْبَشَارَةِ بِالنِّدَارَةِ.

وَالسَّرَابُ: رُطُوبَةٌ كَثِيفَةٌ تَصْعَدُ عَلَى الْأَرْضِ وَلَا تَعْلُو فِي الْجَوِّ تَنْشَأُ مِنْ بَيْنِ رُطُوبَةِ الْأَرْضِ وَحَرَارَةِ الْجَوِّ فِي الْمَنَاطِقِ الْحَارَةِ الرَّمْلِيَّةِ فَيَلُوحُ مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ مَاءٌ.

وَقَوْلُهُ: بِقِيعَةِ الْبَاءِ بِمَعْنَى فِي. وَ (قِيعَةٌ) أَرْضٌ، وَالْقِيعَةُ: الْأَرْضُ الْمُنْبَسِطَةُ لَيْسَ فِيهَا رُبَى وَيُرَادُفُهَا الْقَاعَةُ. وَقِيلَ: قِيعَةٌ جَمْعُ قَاعٍ مِثْلُ جَبِيَّةٍ جَمْعُ جَارٍ، وَلَعَلَّهُ غَلَبَ لَفْظُ الْجَمْعِ فِيهِ حَتَّى سَاوَى الْمُفْرَدَ.

وَقَوْلُهُ: (يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً) يُعِيدُ وَجْهَ الشَّبَهِ وَيَتَّصِمُنْ أَحَدَ أَرْكَانِ التَّمْثِيلِ وَهُوَ الرَّجُلُ الْعَطْشَانُ وَهُوَ مُشَابَهُ الْكَافِرِ صَاحِبِ الْعَمَلِ. وَحَتَّى ابْتِدَائِيَّةٌ بِمَعْنَى فَاءِ التَّقْرِيعِ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ)، أَي: إِذَا جَاءَ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَحَيَّلَ أَنَّهُ إِنْ وَصَلَ إِلَيْهِ يَجِدُ مَاءً. وَإِلَّا فَإِنَّ السَّرَابَ لَا يَرَالُ يَلُوحُ لَهُ عَلَى بَعْدِ كُلِّ مَا تَقَدَّمَ السَّائِرُ فِي سَيْرِهِ.

وَقَوْلُهُ: (لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) أَي: مَا كَانَ يُحَيَّلُ إِلَى عَيْنِهِ أَنَّهُ مَاءٌ. وَ (إِذَا) هُنَا ظَرْفٌ مُجَرَّدٌ عَنِ الشَّرْطِيَّةِ. وَالْمَعْنَى: زَمَنٌ مَجِيئِهِ إِلَى السَّرَابِ، أَي وَصُولِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ. وَقَوْلُهُ: (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) هُوَ مِنْ تَمَامِ التَّمْثِيلِ، أَي لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ وَوَجَدَ فِي مِطْنَةِ الْمَاءِ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ وَجَدَ مَنْ إِنْ أَحَدٌ بِنَاصِيَتِهِ لَمْ يُفْلِتْهُ، أَي هُوَ عِنْدَ ظَنِّهِ الْفُوزُ بِمَطْلُوبِهِ فَاجَأَهُ مَنْ يَأْخُذُهُ لِلْعَذَابِ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَوْقَاهُ حِسَابَهُ) أَي أَعْطَاهُ جَزَاءَ كُفْرِهِ وَافِيًا. فَمَعْنَى فَوْقَاهُ أَنَّهُ لَا تَخْفِيفَ فِيهِ، فَهُوَ قَدْ تَعَبَ وَنَصَبَ فِي الْعَمَلِ فَلَمْ يَجِدْ جَزَاءً إِلَّا الْعَذَابَ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ وَرَدَ الْمَاءَ لِلسَّقْيِ فَوَجَدَ مَنْ لَهُ عِنْدَهُ تِرَةٌ فَأَخَذَهُ.

وَجُمْلَةُ: (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) تَذْيِيلٌ. وَالسَّرِيعُ: ضِدُّ الْبَطِيءِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يُمَاطِلُ الْحِسَابَ وَلَا يُؤَخِّرُهُ عِنْدَ حُلُولِ مُقْتَضِيهِ، فَهُوَ عَامٌّ فِي حِسَابِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَلِذَلِكَ كَانَ تَذْيِيلًا.

وتشبيه أَعْمَالِ الْكَافِرِينَ بِالسَّرَابِ فِي أَنَّ لَهَا صُورَةَ الْمَاءِ وَلَيْسَتْ بِمَاءٍ، تشبيه مرسل، تشبيهه غير المحسوس بالمحسوس. وَالْكَافِرُ يُشَبِّهُ الظَّمَانَ فِي الْإِحْتِيَاجِ إِلَى الْإِنْتِفَاعِ بِعَمَلِهِ. فَفِي قَوْلِهِ: (يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ) اسْتِعَارَةٌ مُصَرِّحَةٌ، وَخَبِيئَةُ الْكَافِرِ عِنْدَ الْحِسَابِ تُشَبِّهُ خَبِيئَةَ الظَّمَانَ عِنْدَ مَجِيئِهِ السَّرَابِ، فَفِيهِ

اسْتِعَارَةٌ مُصَرِّحَةٌ، وَمُفَاجَأَةُ الْكَافِرِ بِالْأَخْذِ وَالْعَتْلِ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ أَوْ بِنُكُوبِ اللَّهِ تُشْبِهُ مُفَاجَأَةَ مَنْ حَسِبَ أَنَّهُ يَنْبُغُ الْمَاءَ لِلشَّرَابِ فَبَلَغَ إِلَى حَيْثُ تَحَقَّقَ أَنَّهُ لَا مَاءَ فَوَجَدَ عِنْدَ الْمَوْضِعِ الَّذِي بَلَغَهُ مَنْ يَتَرَصَّدُ لَهُ لِأَخْذِهِ أَوْ اسْرِهِ. فَهَذَا اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ إِذْ شَبَّهَ أَمْرَ اللَّهِ أَوْ مَلَائِكَتَهُ بِالْعُدُوِّ، وَرَمَزَ إِلَى الْعُدُوِّ بِقَوْلِهِ: فَوْقَاهُ حِسَابَهُ.

**الإعراب:** «وَالَّذِينَ» الواو استئنافية واسم الموصول مبتدأ «كَفَرُوا» ماضٍ وفاعله والجملة صلة «أَعْمَالُهُمْ» مبتدأ والهاء مضاف إليه «كَسْرَابٍ» متعلقان بالخبر المحذوف والجملة خبر الذين وجملة الذين وخبرها مستأنفة «بِقِيَعَةٍ» متعلقان بصفة لسراب «يَحْسَبُهُ» مضارع ومفعوله الأول «الظَّمَانُ» فاعل «مَاءٍ» مفعول به ثان والجملة صفة ثانية لسراب «حَتَّى» حرف غاية وجر «إِذَا» ظرف يتضمن معنى الشرط «جَاءَهُ» ماضٍ ومفعوله وفاعله مستتر والجملة مضاف إليه «لَمْ يَجِدْهُ» لم حرف جازم ومضارع مجزوم والهاء مفعول به أول وفاعله مستتر والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم «شَيْئاً» مفعول به ثان «وَوَجَدَ اللَّهَ» الواو عاطفة وماضٍ ومفعوله وفاعله مستتر والجملة معطوفة «عِنْدَهُ» ظرف مكان متعلق بوجود والهاء مضاف إليه «فَوْقَاهُ حِسَابَهُ» الفاء عاطفة وماضٍ ومفعوله وفاعله مستتر وحسابه مفعوله الثاني والهاء مضاف إليه «وَاللَّهُ سَرِيعٌ» الواو استئنافية ومبتدأ وخبر «الْحِسَابِ» مضاف إليه والجملة استئنافية.

الآية (٤٠) (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ).

(أَوْ) إِذَا جَاءَتْ فِي عَطْفِ التَّشْبِيهِاتِ تَدَلُّ عَلَى تَخْيِيرِ السَّمْعِ أَنْ يُشَبَّهَ بِمَا قَبْلَهَا وَبِمَا بَعْدَهَا.

شبه حال الذين كفروا في أعمالهم التي يعملونها بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية فإذا هو في ظلمات لا يهتدي معها طريقاً. وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة كما يقال: شاهدت سواد الكفر في وجه فلان.

وَاللُّجِّيُّ: العميق، مَسُوبٌ إِلَى اللُّجَّةِ.

وَالْمَوْجُ: اسم جمع موجة وهي: مَقْدَارٌ يَتَّصَعَدُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ أَوْ النَّهْرِ عَنِ سَطْحِ مَائِهِ بِسَبَبِ اضْطِرَابٍ فِي سَطْحِهِ بِهُبُوبِ رِيحٍ مِنْ جَانِبِهِ يَدْفَعُهُ إِلَى الشَّاطِئِ. وَمَعْنَى: (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) أَنَّ الْمَوْجَ لَا يَتَكَسَّرُ حَتَّى يَلْحَقَهُ مَوْجٌ آخَرُ مِنْ فَوْقِهِ وَذَلِكَ أَنْبَى لظلمته. وَالسَّحَابُ يَزِيدُ الظُّلْمَةَ ظَلَامًا؛ لِأَنَّهُ يَخْجُبُ ضَوْءَ النُّجْمِ وَالْهَيْلِ.

وَقَوْلُهُ: (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) جمع لأنواع الظلمة، وهو غَيْرُ الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ) التي هي جَمْعُ أَفْرَادٍ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ. وَقَوْلُهُ: (لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا) أي: لم يقرب أن يراها، فضلاً عن أن يراها.

وَجُمْلَةٌ: (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أي: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فِي قُلُوبِهِمُ الْهُدَى فَيُوقِقَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ.

الإعراب: «أَوْ» عاطفة «كَظُلُمَاتٍ» معطوف على كسراب «فِي بَحْرٍ» متعلقان بمحذوف صفة لظلمات «لُجِّيٍّ» صفة بحر «يَغْشَاهُ» مضارع ومفعوله المقدم «مَوْجٍ» فاعل مؤخر والجملة صفة ثانية لبحر «مِنْ فَوْقِهِ» متعلقان بخبر مقدم محذوف والهاء مضاف إليه «مَوْجٍ» مبتدأ مؤخر والجملة صفة لموج «مِنْ فَوْقِهِ» متعلقان بخبر مقدم «سَحَابٍ» مبتدأ مؤخر والجملة صفة موج الثانية «ظُلُمَاتٍ» خبر لمبتدأ محذوف والجملة تفسيرية «بَعْضُهَا» مبتدأ والهاء مضاف إليه «فَوْقَ» ظرف مكان متعلق بالخبر المحذوف «بَعْضٍ» مضاف إليه والجملة صفة لظلمات «إِذَا» ظرف يتضمن معنى الشرط متعلق بجوابه «أَخْرَجَ» ماض فاعله مستتر «يَدَهُ» مفعول به والهاء مضاف إليه والجملة في محل جر مضاف إليه «لَمْ يَكُنْ» لم جازمة ومضارع ناقص مجزوم بلم واسمه محذوف «يَرَاهَا» مضارع فاعله مستتر والهاء مفعول به والجملة خبر يكد «وَمَنْ» الواو استئنافية من شرطية جازمة مبتدأ وجملته مستأنفة «لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ» لم جازمة ومضارع وفاعل «لَهُ» متعلقان بيجعل «نُورًا» مفعول به «فَمَا» الفاء رابطة للجواب ما نافية والجملة في محل جزم جواب الشرط «لَهُ» متعلقان بالخبر المحذوف المقدم «مِنْ نُورٍ» من زائدة نور مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً وجملتا الشرط والجواب خبر من.

الآية (٤١): (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ).

أَعْقَبَ تَمَثِيلَ صَالِحِ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَكَيْفَ حَرَمَهُمُ اللَّهُ الْهُدَى فِي قَوْلِهِ: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ إِلَى قَوْلِهِ: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ [النور: ٣٩، ٤٠] بِطَلَبِ النَّظَرِ وَالِاعْتِبَارِ كَيْفَ هَدَى اللَّهُ تَعَالَى كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى تَنْزِيهِهِ اللَّهُ الْمُقْتَضِي الْإِيمَانَ بِهِ وَحَدَهُ، وَبِمَا أَلْهَمَ الطَّيْرَ تَسْبِيحَ اللَّهِ وَتَنْزِيهِهِ. وَالِاسْتِقْفَاهُمْ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ حُرِّمُوا الْهُدَى لَمَّا لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ فِيهِمْ. وَهَذَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان: ٤٤].

(وَصَافَاتٍ): باسطات أجنحتهن في الهواء. وَتَخْصِيصُ الطَّيْرِ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ الْمَخْلُوقَاتِ لِلْمُقَابَلَةِ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ بِذِكْرِ مَخْلُوقَاتِ فِي الْجَوِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلِذَلِكَ قُيِّدَتْ بِ(صَافَاتٍ).

وَالرُّؤْيَى: هُنَا بَصْرِيَّةٌ لِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعُقَلَاءِ مَشَاهِدٌ لِكُلِّ ذِي بَصَرٍ، وَتَسْبِيحَ الطَّيْرِ مَشَاهِدٌ. وَقِيلَ: الرُّؤْيَى هُنَا قَلْبِيَّةٌ. وَجُمْلَةٌ: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) تَدْبِيئٌ وَهُوَ إِعْلَامٌ بِسَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى الشَّامِلِ لِلتَّسْبِيحِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ. وَالْإِثْنَانُ بِضَمِّيرِ جَمْعِ الْعُقَلَاءِ تَغْلِيْبٌ.

الإعراب: «أَلَمْ» الهمزة للاستفهام لم حرف جازم «تَرَ» مضارع مجزوم بحذف حرف العلة فاعله مستتر والجملة مستأنفة «أَنَّ اللَّهَ» أن ولفظ الجلالة اسمها وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر «يُسَبِّحُ» مضارع مرفوع «لَهُ» متعلقان ببسبح «مَنْ» اسم موصول فاعل والجملة خبر «فِي السَّمَاوَاتِ» متعلقان بصلة الموصول المحذوفة «وَالْأَرْضِ» معطوف على السموات «وَالطَّيْرِ» معطوف على من «صَافَاتٍ» حال منصوبة بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم «كُلُّ» مبتدأ والجملة استئنافية «قَدْ» حرف تحقيق «عَلِمَ» ماض فاعله مستتر والجملة خبر «صَلَاتَهُ» مفعول به والهاء مضاف إليه «وَتَسْبِيحَهُ» معطوف على صلاته والهاء مضاف إليه «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» مبتدأ وخبره والجملة مستأنفة «بِمَا» ما موصولة متعلقان بعليم «يَفْعَلُونَ» مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة لا محل لها.

الآية (٤٢): (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ).

الواو: استئنافية، و (الله خبر) مقدم، و (ملك السموات والأرض): مبتدأ مؤخر، و (إلى الله): خبر مقدم، و (المصير): مبتدأ مؤخر. وَتَقْدِيمُ الْمُعْمُولَيْنِ لِلِإِخْتِصَاصِ، أَي أَنَّ التَّصَرُّفَ فِي الْعَوَالِمِ لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ.

الإعراب: «وَلِلَّهِ» الواو استئنافية وحرف جر ولفظ الجلالة متعلقان بمحذوف خبر مقدم «مُلْكُ» مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة «السَّمَاوَاتِ» مضاف إليه «وَالْأَرْضِ» معطوف على السموات «وَإِلَى اللَّهِ» الواو عاطفة ومتعلقان بمحذوف خبر مقدم «الْمَصِيرُ» مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على ما سبق.